

فتح مكة

إعداد/ مسعود صبري

رسوم/ محمود عبد الهادي

تلوين/ حسام عزت

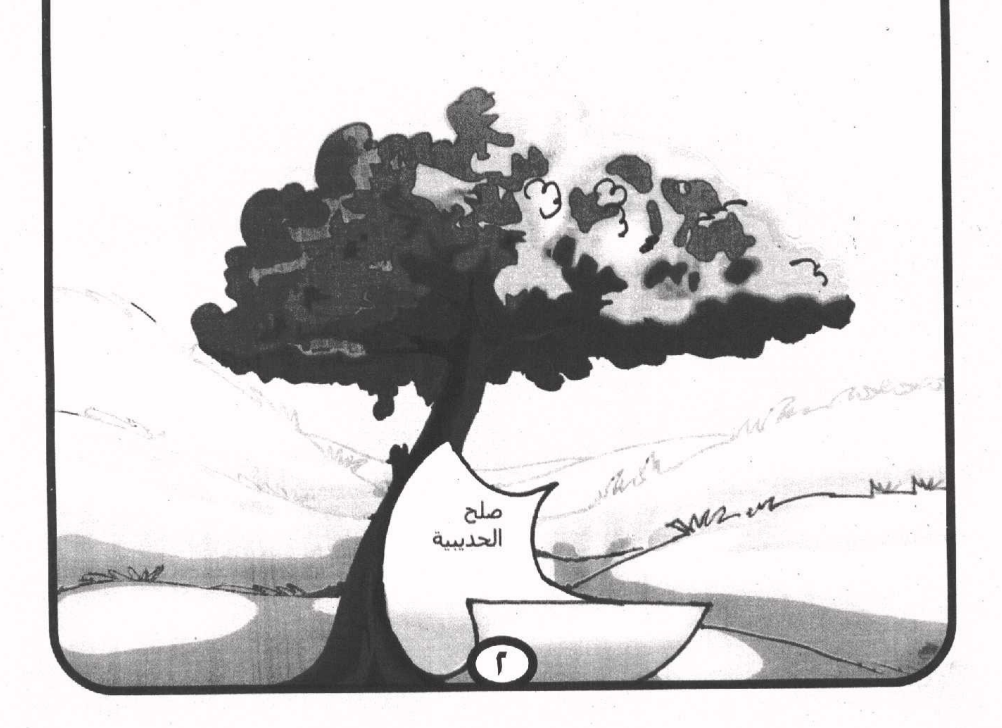
١٥ ش الطوبجي - خلف مرور الجيزة - بين السرايات - الدقي

تليفون وفاكس: ٧٤٩٣٦٨٥(٢٠٢) محمول: ٠١٠/٥٠١٤٥٧٣

رقم الإيداع: ٢٠٠١/١٣٨٤١

كان من شروط صلح الحديبية الذي عقده الرسول ﷺ مع قريش، أن القبيلة التي تدخل مع الرسول ﷺ، فإن التعدي عليها يعد من التعدي على الرسول ﷺ، وأن التعدي على قبيلة متحالفة مع قريش تعد على قريش.

وكانت قبيلة خزاعة قد دخلت في حلف مع الرسول، وقبيلة بكر في حلف مع قريش، وكان بين قبيلة خزاعة وبكر نزاع وثأر، فأمدت قريش قبيلة بكر بالسلاح، فهجمت على قبيلة خزاعة، وقتلت الكثير منهم وهم بين راكع وساجد.



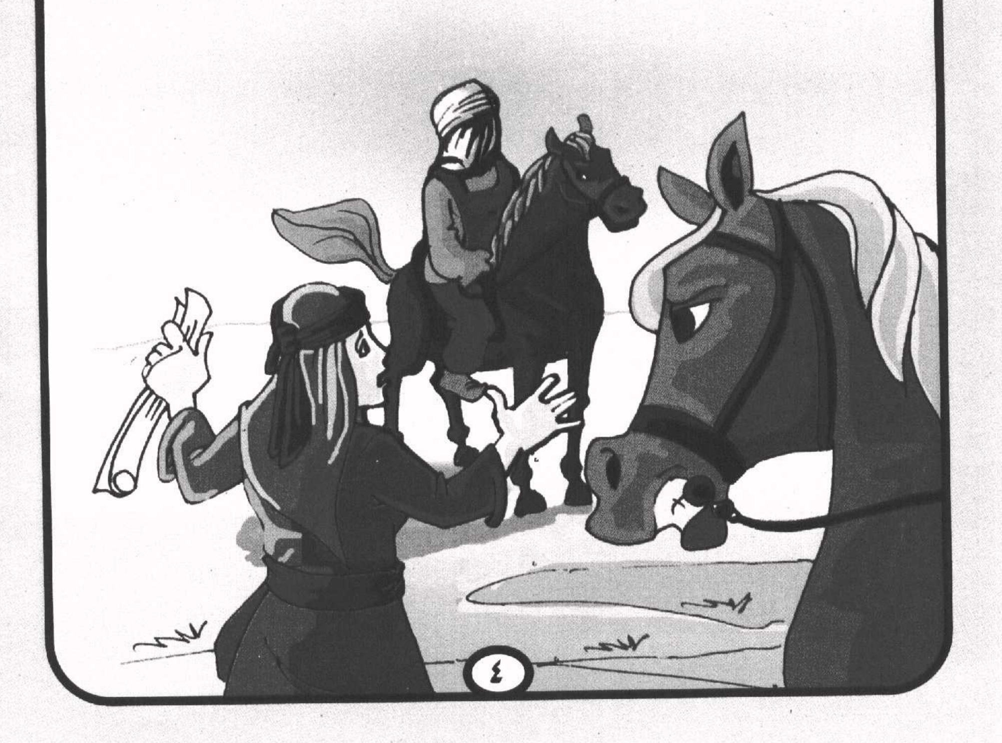
وكان الرسول ﷺ في المسجد مع أصحابه، فجاء عمرو بن سالم زعيم قبيلة خزاعة، يشتكي للرسول ﷺ مما فعلته قريش وبكر، فقال له النبي ﷺ: «لقد نُصرت يا عمرو بن سالم».

وبدأ الرسول ﷺ يعد العدة لملاقاة المشركين، ويستعد للفتح المبين، ورأت قريش أن ما فعلته خطأ عظيم، فأرسلت أبا سفيان للمدينة، ليقدم اعتذاراً رسمياً عما حدث.

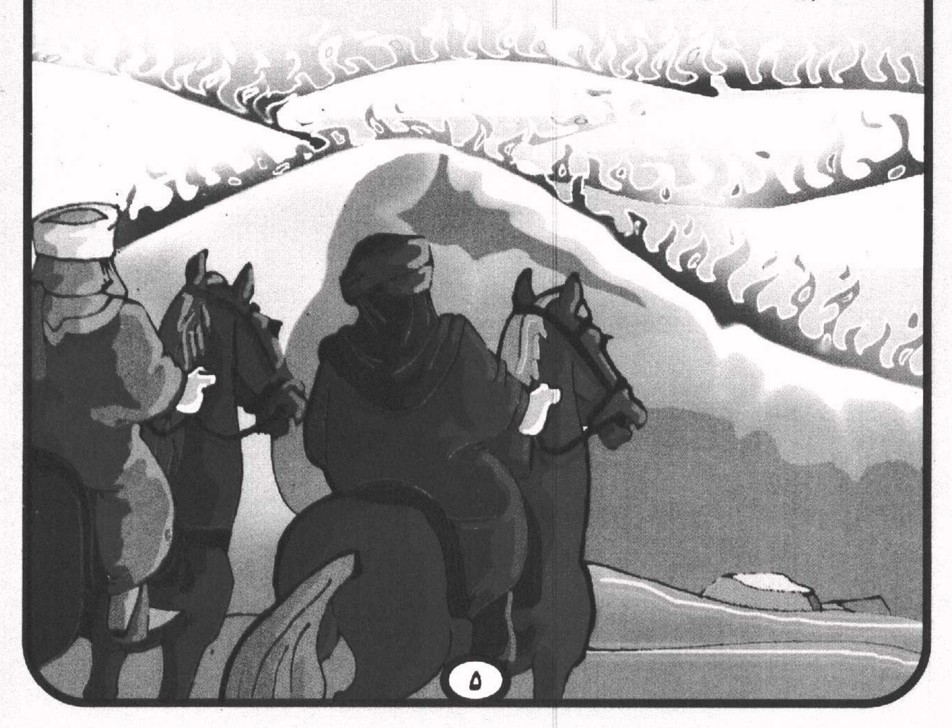
فذهب إلى ابنته زوج الرسول «أم حبيبة»، فقابلته مقابلة غير متوقعة، فذهب إلى أبي بكر ليساعده، فرفض، فذهب إلى عمر ثم عليّ -رضى الله عنهما- فرفضا أيضاً، فعاد أبو سفيان بعد فشل المفاوضات.



وأخبر الرسول ﷺ أصحابه أنه ينوي فتح مكة، وطلب منهم أن يكون هذا الخبر سراً لا يعرفه أحد، حتى يفاجئ أهل مكة بالفتح، فحفظ الصحابة السر، إلا حاطب بن أبي بلتعة، فقد بعث برسالة لقريش مع امرأة يعلمهم بمجيء النبي إليهم، ونزل جبريل عليه السلام، وأخبره بما فعل حاطب، فبعث الرسول ﷺ عليّ بن أبي طالب والمقداد بن عمرو، وأمسكا المرأة، وأخرجا منها الكتاب، فلما عادا اعتذر حاطب أنه لا أهل له في مكة، فأراد أن يكون له يد عند قريش، فأراد عمر -رضي الله عنه- أن يقتله، فرفض الرسول ﷺ، لأنه كان من أهل بدر المخلصين الذين غفر الله لهم.

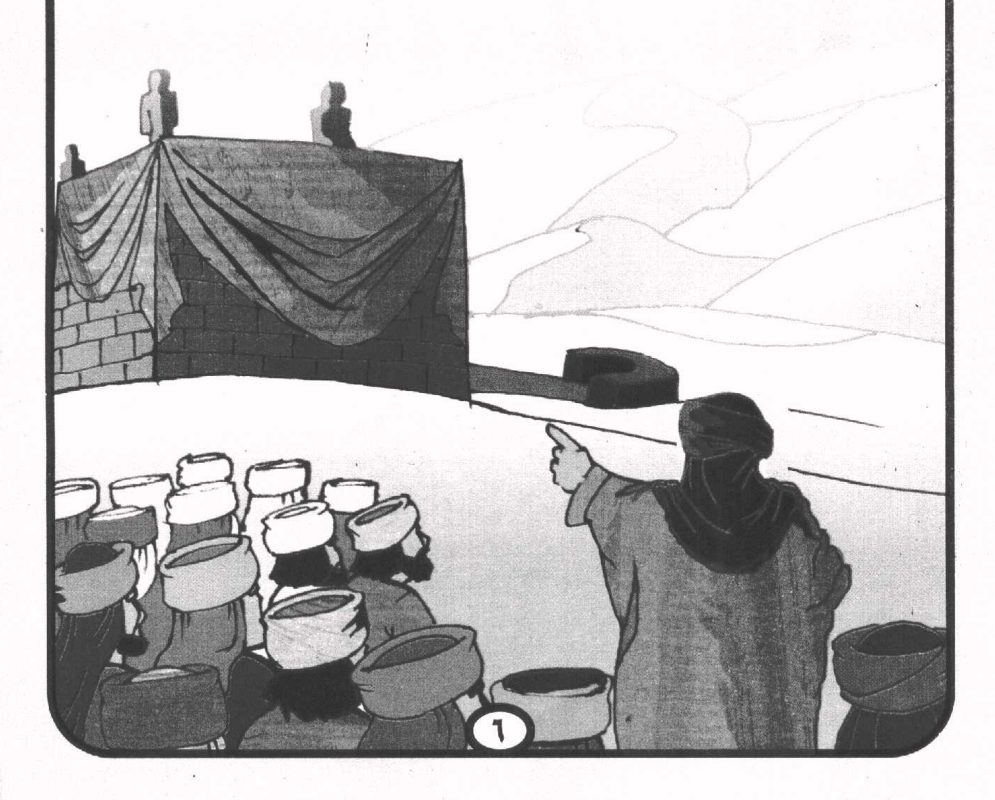


وخرج الرسول ﷺ في عدد كبير جداً من الصحابة، وعندما وصل الرسول ﷺ منطقة الظهران بين مكة والمدينة، أمر الصحابة أن يوقدوا ناراً، وكانوا أكثر من عشرة آلاف صحابي، فاشتعلت نار عظيمة، وكان أبو سفيان قد خرج مع بعض الرجال، فسمعه العباس بن عبد المطلب، فنادى على أبي سفيان، ثم حذره من تهديد النبي ﷺ له، ونصحه بأن يأخذه إلى الرسول ﷺ ليعلن إسلامه، فذهب أبو سفيان إلى الرسول ﷺ وأعلن إسلامه، ولأن أبا سفيان رجل كان يحب الفخر، فإن الرسول ﷺ أخبره بأن من دخل المسجد فهو آمن ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن دخل بيته فهو آمن.



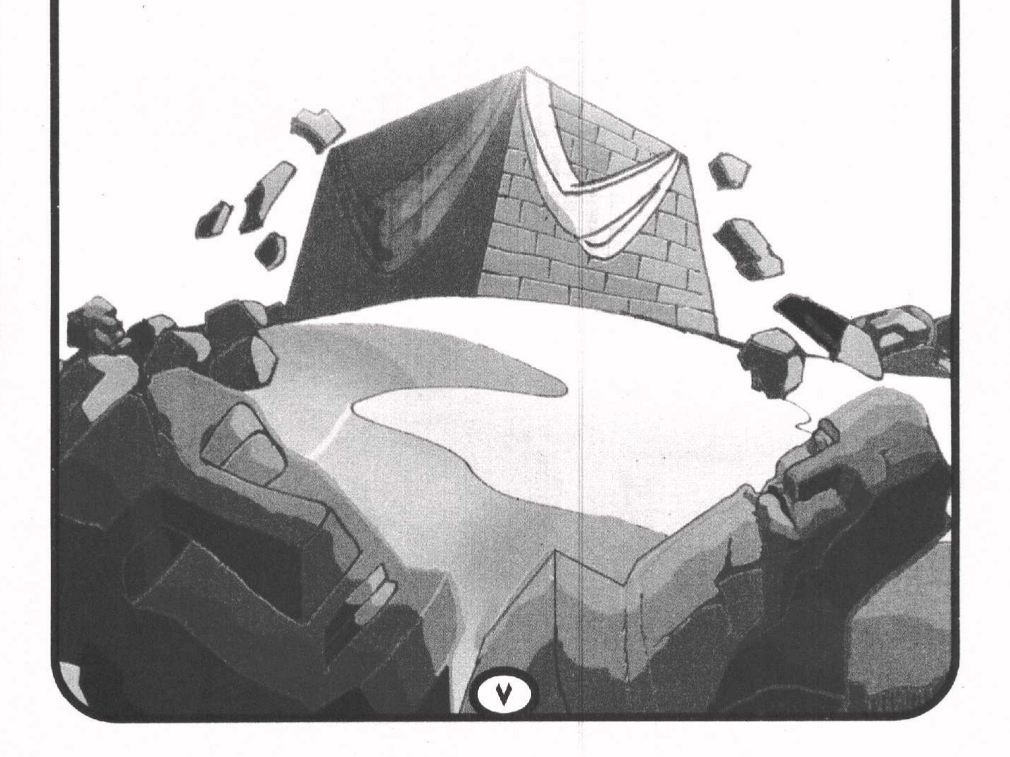
ودخل أبو سفيان الإسلام، وعاد إلى مكة ليحذرهم من جيش المسلمين، صارخًا بأعلى صوته، فتجمع الناس حوله، يسمعون ما يقوله سيد قريش.

فقال: يا معشر قريش، هذا محمد قد جاءكم بجيش لا تستطيعون حربه، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن. فتفرق الناس في الطرقات فمنهم من احتمى بالمسجد الحرام ومنهم من احتمى ببيته، وساد الخوف والذعر بين المشركين، لأنهم قتلوا المسلمين وعذبوهم.



ودخل الرسول ﷺ مكة متواضعاً، يكاد البكاء يسيل من عينيه، فهذه مكة التي اضطره أهلها إلى تركها، يفتحها الله عليه، وذهب الرسول ﷺ إلى الكعبة، فاستقبل الحجر الأسود، فاستلمه، ثم طاف بالبيت الحرام، وكان حوله ثلاثمائة وستون صنماً. فجعل يطعنها بالقوس ويقول: «جاء الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقاً». فكانت الأصنام تقع على الأرض.

ثم استأذن الرسول ﷺ عثمان بن طلحة، فأخذ منه مفتاح الكعبة، وفتحها، وأخرج ما كان بها من صور وأشكال أخرى. ثم رد المفتاح فيما بعد لعثمان بن طلحة.



وخرج الرسول ﷺ من الكعبة، فحمد الله، وأثنى عليه، وذكر الناس بنبذ أمور الجاهلية. وأهل مكة ينتظرون ماذا يفعل معهم الرسول ﷺ؟!

فقال لهم: يا معشر قريش ما تظنون أني فاعل بكم؟

قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم.

فقال لهم ﷺ: «لا تثريب عليكم اليوم، يغفر الله لكم، اذهبوا فأنتم الطلقاء».

ثم أمر الرسول ﷺ بلال بن رباح أن يصعد الكعبة، ويؤذن فوقها، فأذن بلال، فبكى رسول الله ﷺ، وبكى الناس، ودخل أهل مكة دين الله أفواجاً ، وكان هذا الفتح في العام الثامن من الهجرة.

